النرجس

﴿ نبذة تاريخية ادبية ﴾

النرجس زهر من الازهار الجميلة الزكية الرائحة . أصله من الشرق ، ولكنه نقل الى الغرب ، فانتشر انتشاراً عاماً في جنوبي اوربا حتى اصبح في مقدمة الازهار المستنبتة الرائحة . وله هنالك من المحبين ، ولا سيما من المحبات ، ما يجعله معبوداً متفوقاً على سائر الازهار في موسمه

واسم النرجس في اصطلاح النباتيين (نرسيسس بويتيكس) وهما لفظتان لاتينيتان معناهما المخدر الشعري . ولا شك ان اصل هذا التركيب اخذ من الحقيقة ، لان للنرجس رائحة زكية قوية قد تؤثر في ضعاف الاعصاب وتخدرهم او تسبب لهم صداعاً . اما نسبته الى الشعر فلان له جمالاً شعرياً تغنى به الشعراء في قصائدهم منذ القديم حتى روى البعض حديثاً عن رسول الاسلام معناه — من له رغيفان فليبع احدهما ويشتر بثمنه نرجساً ، فان الخبز طعام الجسد ، والنرجس طعام الروح . وروي ان كورش العظيم ملك مادي وفارس كان يحب النرجس الى حد انه قال فيه —

« النرجس لذة خالدة من صنع الجمال » . ومن شعراء الغرب الذين قدموا فريضة حبهم للنرجس شكسبير ، اذ وصفه وصفاً مدققاً لطيفاً في مأساته « العاصفة » . وشلي وبو اللذان كرسا قصائد شهيرة خلابة لتمجيده .

وقد ابقت لنا دواوين شعراء العرب اشعاراً كثيرة نظمت في مدح النرجس حتى اصبح ، والحق يقال ، مزاحماً وحيداً للورد عَلَى عرش الازهار

ولع الشعراء الخياليون بالنرجس لسببين ، الاول جماله الطبيعي ، والثاني خرافة نشأت منذ عصور اليونان القديمة كان لها اليد الطولى في اشتهار النرجس وورود اسمه كثيراً في اداب الغربيين خصوصاً حتى اصبح « النرجس » اسم علم يُطلق عَلَى كل من يعشق نفسه . وهاك مفاد الخرافة .

كان لجونو امرأة جوبتير رئيس الالهة صديقة حميمة من جنيات الجبال اسمها « الصدى » وكانت جونو لا تخفي عنها شيئاً لما بينهما من روابط الصداقة والولاء بل كانت تقاسمها افراحها واتراحها وتودعها اسرارها عَلَى ان هذه الصديقة الحميمة لم تفِ الوداد حقه بل خانت خليلتها واستمالت جوبتير بمحاسنها ودخلت في صلات سرية معه . وكانت حين يمضي جوبتير الى شقيقاتها جنيات الجبل تشغل جونو باطايب الحديث وجميل القصص لئلا تشعر بغياب زوجها . ولكن جونو أحست بالامر يوماً وا كتشفت خيانة زوجها وصديقتها ، فغضبت غضباً شديداً ولعنت « الصدى » واعدمتها لسانها قائلة لها

— اغربي عني ، ايتها الخائنة الذليلة ، ولتفقدي لسانك الذي كنت تشغليني به عن خيانة زوجي . عَلَى اني سارحمك بعض الرحمة ، فستكونين قادرة عَلَى تكرار آخر صوت تسمعينه ممن ينادونك فقط

من ذلك الوقت احتجبت الجنية المسكينة في الاحراج حيث يسود

الصدى حتى الآن مردداً اواخر الالفاظ .

على انها ضجرت في وحدتها وهي ساكنة بين الصخور والاشجار فحاولت ان تجد لها من يسليها في كربتها لتحبه وتسلمه قلبها

فمرّ ذات يوم في الغابة شاب جميل اسمه « نرجس » (نرسيس) . وهو ابن اله النهر سفيزس . وكانت الالهة قد قدرت له ان يدرك الشيخوخة المتناهية فيما اذا لم يعرف ذاته البتة — اي اذا لم يرَ وجهه قط . فلما رأت « الصدى » نرجس احبته حباً مبرحاً وحاولت ان تجذبه بجمالها وتستولي على قلبه ، ولكن الشاب لم يكترث بها وأعرض عنها رافضاً حبها . فبرّح بها صده وبلغ اليأس بها مبلغاً ، فشكت امرها الى الالهة مسترحمة ، ضارعة اليهم ان يقاصوا ذلك الشاب القاسي القلب . فسمع الالهة دعاءها وعاقبوا الشاب كما يأتي .

شعر نرجس يوماً عند الظهيرة بعطش شديد فعكف على غدير رائق صافي المياه ، وأكبّ عند الشاطئ على الماء ليشرب . وهنا لاول مرة في حياته رأى وجهه الجميل فسحرته محاسنه وعشق نفسه عشقاً لم يستطع بعده ان يرفع بصره من الغدير ، فظل هنالك ينظر الى ملامح وجهه المنعكسة في الماء وينحل من وجده حتى ذاب هياماً وذبل كالزهرة . على ان الالهة لم تسمع بهلاكه تماماً ، فحولته الى زهرة جميلة دعيت باسمه من خصائصها انها تحني رأسها الى الاسفل كأنها تحاول ان ترى جمالها في مرآة الغدير .

تلك هي قصة النرجس كما رواها اوفيديوس الشاعر الروماني في

قصائده . على ان هنالك رواية اخرى لهذه الخرافة نأتي على ملخصها .

كان للشاب نرجس اخت جميلة فتانة تشبهه كل الشبه في الجمال والقامة والهيئة حتى في الملابس ، لانها كانت ترتدي ملابسه نفسها ، فلم يكن احد يفرق بينهما . وكان الاخوان يحبان الواحد الاخر حباً شديداً ليس فوقه حب ويقضيان الاوقات في الصيد . فحدث ان الفتاة ماتت ، فحزن عليها اخوها حزناً كاد ان يقضي عليه . ولكي يسلي نفسه عن فقدها كان يمضي الى الغدير كل يوم ويقضي اوقاته في النظر الى خيال وجهه في الماء ليذكر بذلك وجه اخته الحبيبة. ولكن احزانه وشعوره بفقد اخته كانت تزداد كلما انعم النظر في الماء . وأدت به الحال الى انه القى نفسه في الماء غماً ويأساً ، كأنه يلقي نفسه في عناق حبيبته المائتة التي كانت اثمن لديه من كل حياة .

ولهذا كان قدماء اليونان يحسبون النرجس زهرة الاموات والهالكين. وورد في خرافاتهم ان الاهات الثأر والعقاب كن يجدلن منه الاكاليل ليزين بها روسوسين . وجاء ايضاً فيها ان بروز رپينا كانت تتسلى به في مملكة الاموات بعد ان اختطفها بلوتون اله الجحيم ، وان الحسناء اوروبا كانت تقتطفه وتجمع منه باقة عندما اقترب منه جوبتير بهيئة ثور واحتملها خطفاً الى جزيرة كريت .

اما الرومانيون فقد ذكر النرجس منهم العلامة پاينيوس في كتابه عن النبات ووصف اشكاله الثلاثة ، ولاسيما الاصفر منها . وكانوا يضفرون

منه الاكاليل ويزينون بها رؤوسهم في الولائم وحفلات النصر . وفي اثار پومباي القديمة رسوم عديدة للنرجس .

والصينيون من الشعوب المغرمة بالنرجس . وهم يعتنون به اعتناء خاصاً ويوجبون وجوده في كل بيت اثناء الاحتفال بعيد رأس السنة ، ويزينون به مذابح الهتهم ويحملونه في كل المظاهرات نهار ذلك العيد .

نُقل النرجس الشرقي الى اوروبا في الجيل السادس عشر واتصل اولاً بانكلترا قبل سواها من الممالك ، وذلك سنة ١٥٧٠ : اي قبيل عصر الملكة اليصابات . وكان ارساله من القسطنطينية الى اللورد امين الخزينة الانكليزية فزرعه في حديقته الشهيرة على التيمز ، ولكن مناخ انكلترا لم يوافقه فقل انتشاره ، بعكس جنوبي اوروبا ، حيث وافقته التربة فاصبح يضاهي الازهار المحلية .

وللاوروبيين احتفاء خاص بزهرة النرجس ، حتى انهم في بعض بلدانهم يخصصون عيداً سنوياً لها يقيمون به الحفلات الشائقة ، واهمها ما يحدث كل سنة في بلدة مونترپو من اعمال سويسرا ، فهنالك يقيم الاهالي مهرجاناً يبقى يومين يكرسونهما للنرجس ويقضونهما في القصف واللهو والملذات نساء ورجالاً واولاداً . وميعاد ذلك المهرجان اول الربيع

وفي المانيا نوع من النرجس الابيض العابق يدعوه الاهالي « الامرأة البيضاء » . وهم يتطيرون منه ويعتقدون انه آفة تمتص دماء البشر . ويستندون في رأيهم هذا على وجود دائرة حمراء في وسط الزهرة تشبه

القمم الدامي ·

والامر بالعكس في بروسيا الشرقية · فهنالك يعتقد الاهلون ان النرجس رمز الربيع ويتفاءلون به كعلامة للزواج السعيد · فلا تخرج العروس من بيت ابيها غير مستصحبة معها نبتة النرجس الى بيت زوجها لتعتني بانمائها هنالك · وهي تحسب ان نمو تلك النبتة وازدهارها لعلامة عَلَى ازدهار حياتها الزوجية وسعادتها العائلية

والعامة في اوروبا يعتقدون ان للنرجس خصائص شافية كأفضل العقاقير الطبية · فهم يصفون وضع اصوله في الجيب كدواء لاسهال الاطفال ، ويطحنون اوراقه ويستعملونها مرهماً للجروح والشرايين المقطوعة

لا شعب يعتني في الحاضر بانماء النرجس وتحسينه كالانكليز فهم يهتمون بذلك مزيد الاهتمام ، ولهم جمعيات تعتني بترقية فن انمائه وتنفق في سبيل ذلك اموالاً طائلة · وقد تمكنت حتى الان من توليد انواع جديدة مختلفة من النرجس الغريب الشكل بواسطة التلقيح · وتلك احدى عجائب العلم والصبر · أوَ ليس من الغريب ان الطبيعة مع ما هي عليه من العظمة لا تستطيع من تلقاء نفسها ابداع اشكال جديدة من ازهارها حتى يساعدها عَلَى ذلك عقل البشر الحقير ·